امجد ناصر

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

مديح لمقهى آخر

دار ابن رشد

امجد ناصر

مديح لمقهى اخر

دار ابن رشد
١٩٧٩

الحقوق محفوظة لدار ابن رشد – بيروت

الطبعة الاولى : بيروت ١٩٧٩

الإهداء

الى « هند » ،
بانتظار الاسراء معاً ،
إلى الجبـــال السبعة .

أمجد

لن تجـد أرضين جديدة ، ولا بحـاراً أخرى
فالمـدينة ستتبعك
وستطوّف في الطرقـات ذاتها ،
وتهرم في الأحياء نفسهـا
وتشيب ، أخيرا ، في البيوت نفسها •

ستؤدي بك السبل ، دائماً ، الى هذه المـدينة
فلا تـأملنّ فـي فرار
اذ ليس لـك من سفينة
ولا مـن طريق •
وكما خربت حياتك هنا
في هذه الزاويـة الصغيرة
فهي خراب أنّى ذهبتَ •

قسطنطين كفافيس

ابواب للسماء ولكنها .. ضيقة

- ١ -

لن اغتصبَ ملامحي بدعوى التفاؤلِ
ولكني سأنبشرُ ألواح صدري للطيورِ
القادمةِ من البحر ، أو الصحراء ،
وأنفثُ حزمة من الدخان الحيّ ، واهدأ .

- ٢ -

أرعنَ كانَ القلبُ ،
صبياً طائشَ الشعرِ ،
يعثرُ في غصونِ الليلِ المتهالكة ،
والمدينةُ لم تتحولْ بعدُ

إلى حصانٍ خاسر .
عادةً يطلقونَ الرصاصَ الحار بينَ عيني
الحصان الخاسرِ ،
لم تطاوعني أصابعي المتشنجة ،
الممسكةُ بشبكةٍ من الفراغ ،
أو بقبر خالٍ من الجُثّة .
تلمستُ كفاً من الحديد المطاوعِ ،
لم أطلق النار ،
فالمدينةُ لما تزل غارقةً في الصهيل .

- ٣ -

اين تذهبُ الأحزانُ ،
والسجائر ،
إذا ارتحلتْ المقاهي إلى غير عودة .
الشعراءُ الصغارُ ،
والرغوةُ ،
والنقدُ غير الموضوعي ،
والقصصُ التي تصلح للخواطر والبؤس أيضاً !

اين تؤسسُ مملكتكَ الوهمية ، أيها الحلمُ .

. . . . . .

. . . . . .

ان المقاهي أكثرُ رسوخاً ، من الاظافر في اللحم .
فلا ضيرَ في ذلك .

- ٤ -

القلبُ ،
وهو مضغةٌ من الاسفنج النادرِ ،
لا يملكُ اتقاء العثراتِ القادمةِ من كل صوب .
والمدينةُ ، لم تتحولْ بعدُ إلى سيفٍ مرهف النصل .
والشقاءُ أوسعُ أبواب السماء الضيقة .

- ٥ -

لن اغتصبَ ملامحي ، بدعوى التفاؤل ،
وارضاءً للزوجة ، والجيرانِ السبعةِ ،
فالحزنُ - الجوادُ المرشحُ للانتحار ،

في ختام السباق ، صادفني في الطريقِ
ومدَّ لي يدهُ الشاحبةَ المعروقةَ ،
فمددتُ له يدي ،
وضحكنا معاً :
ليلُ المدينةِ طويلٌ ،
بدون تلك الاجرامِ المضيئة
المكونةِ أصلاً ،
من مزيج الفوسفات ،
واللحم الآدمي الطازج .
والمقاهي ، برغم كونها
سرادق للشّعرِ الخائبِ ،
والنقد غير الموضوعي ،
والسجائرِ المدخنةِ أبداً ،
الا أنها صخورٌ واطئةٌ ،
للطيورِ القادمةِ من البحرِ ،
أو منَ الصحراء .

- ٦ -

لعمان رائحةُ الجياد النظيفةِ ،
ورائحةُ القميصِ الوحيدِ المعلقِ في خزانةِ الأرملة .
لعمانَ رائحةُ الاجسادِ المرهقة .
أفكرُ الآن :

[هل كانَ البنكُ العربيُّ
قريباً من ماءِ السيلِ
قريباً من آخر ليل ،
أم كانَ بعيداً عنْ قلبي] (١) .

ترتعشُ الأصابعُ المشيرةُ نحو الأفق .
لا ..... كان صيفا لا سبيلَ الى اطفاءِ حرائقه
كان وقتاً مكرساً للارتكاس .

- ٧ -

في المحطة ،
- ايّ محطةٍ كانت - يتشكلُ المشهدُ :

(١) مقطع من قصيدة للشاعر الفلسطيني زكريا محمد .

حقائبُ من جلودٍ وأحجام ومحتويات مختلفة ،
وجوهٌ تتطاولُ ،
وتشرئبُّ ،
ملامح تأخذُ شكلَ التقلصاتِ الحادة .
القطارُ يذهبُ الى الشمالِ أو الجنوبِ ،
لا فرقَ .
الصفراتُ الطويلةُ
تصبحُ خيطاً رفيعاً ، متوتراً
وينفرطُ المشهدُ
آه ايتها المدن الأكثر بعداً من الحلمِ ،
لنْ يصلك الصفيرُ أبداً .

بيروت / مطلع ١٩٧٩

الجبل

- ١ -

... فيا سيدي ،
يا جميلَ المحيا
لكَ الآنَ اغماض عينيكَ
بعضٌ من الثلج
بعضُ نبيذِ القرى
يعيدُ لكَ اللونَ ،
والهدأة الصافيه .
لكَ الآنَ ان تشتهي منزلاً في جنوبِ الوطنْ
وتبدأه بالشجرْ

[وأنتَ تحبُّ من الشجرِ الأرزَ ،
فخذْ أرزةً ،
فرعها طيبٌ
وامضِ في الأرضِ ، لا تلتفتْ للوراءِ
فما الأرزُ الا أصابعُ اطفالنا الميتين]

- ٢ -

لكَ الآنَ بعد أنْ ادركَ البحرُ ،
ادركت سهلنا الطبقاتُ العريضةُ
ان تهتدي للجبلْ .
فالقصورُ مطعمةٌ بالذهب ،
والقصورُ مطعمةٌ بالرصاص ،
والقصورُ على غرةِ الثلجِ ،
عاريةٌ ،
كالحجارهْ .

- ٣ -

لكَ الآنَ ان تشربَ القهوةَ الرائقهْ .
وتذكّرْ :

[كنتَ تغسلُ كفيكَ بالثلجِ
والبندقية في الكتف مائلةٌ
والصباحُ صغيرٌ على « المتن »
حينَ استدرتَ إلى الخلفِ
عانقْتَهـا ،
كالعصافيرِ زرقاءَ ،
قبلْتَها ،
في الفم المستدير ،
الفم المشتهى .
ونبتٌ في مفرقِ الشّعر ،
فجراً ،
قرنفلةً
من دماءِ الرفاق .
تلكَ كانت تناولكَ الطلـّقاتِ ،
« البيانَ الشيوعيّ » ،
تقرأ « ايلوار » ،
كانت تترجمهُ لغةً من تراث البنادقِ والشّعرِ .
تفتحُ نارَ المواقعِ واسعةً ،

وتخبئها بينَ صدركَ
والسترةِ العسكريةِ .
كانت تطاردُ خصلتها بعد ان
يرفع القصفُ كفيهِ
لكنها ،
حين تطبق كل الجهاتِ
شجراً ترتديهِ المساكرُ
تبصرُ رتلاً من القبعاتِ
وتبصرُ نهراً من القبعاتِ
وتبصرُ أرضاً
تحاصرها
القبعاتْ .]

— ٤ —

فياسيدي
يا جميلَ المحيا
لكَ الآن ان تستعيدَ السكينةَ والحلمَ :

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

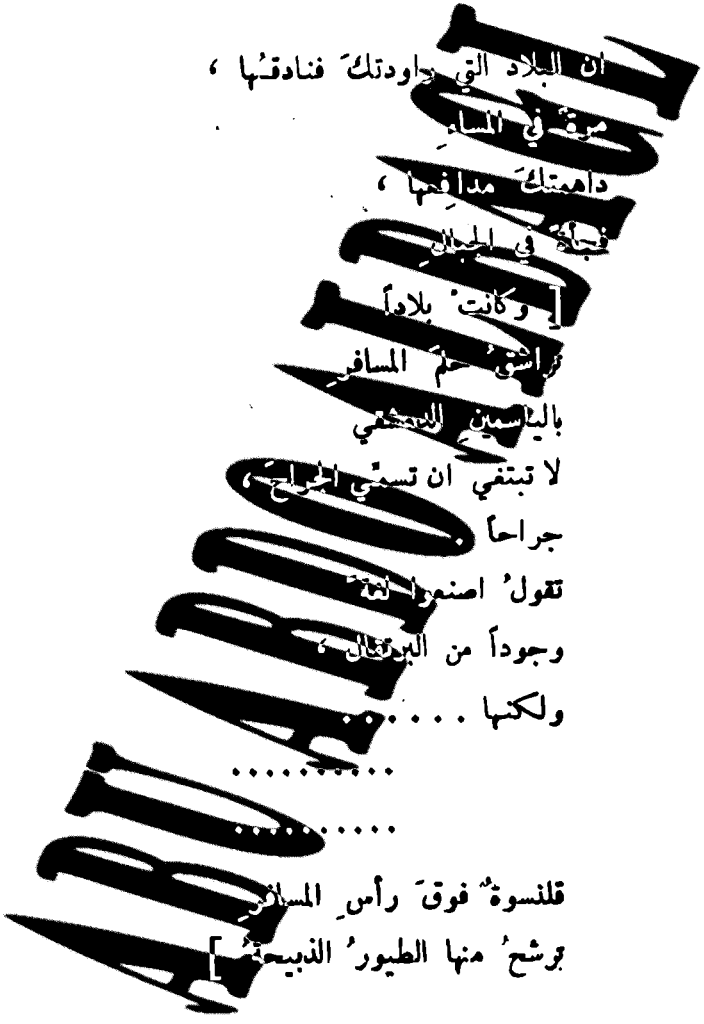

ان البلاد التي راودتكَ فنادقُها ،
مرةً في المساءِ
داهمتكَ مدافِعها ،
فجأةً في الجبالِ
[وكانت بلاداً
تراشقُ حلمَ المسافرِ
بالياسمينِ الدمشقي
لا تبتغي ان تسمّي الجراحَ ،
جراحاً .
تقولُ اصنعوا لغةً
وجوداً من البرتقال ،
ولكنها . . . . . .
. . . .
. . . .
قلنسوةٌ فوقَ رأسِ المسافرِ
يرشحُ منها الطيورُ الذبيحةُ]

- ٥ -

هذي البلادُ مزيجٌ من الحزنِ
والشجرِ المتسامِقِ ؛
والطبقاتِ الفتية .

بيروت / مطلع ١٩٧٨

***

الشافعي

- ١ -

(إلى صلاح الحباشنة)

واحدٌ ،
ليسَ أكثرَ من رجلٍ واحدٍ ،
ولكنهُ عالياً كانَ ،
منتشراً ،
كالجبالِ التي حدرتهُ إلى السهلِ ،
كان عصياً ،
ومحتدماً مثلَ صخرِ الجنوبِ
جموحاً ،
ومنبسطاً مثلَ خيلِ الجنوبْ .
انه الشافعيُّ .

[راكين [1] هبتْ على فرعه ،
مثل غصنٍ من النارِ
نادته « نسوانها » الحاملاتُ
ملابسهُ الداميهْ .
يا عريسْ
أنت يا زينَ الشبابِ ،
علية ُ الدار
يا قمرْ ما غابْ عن بيرْ الكرمْ
ولا خلا الحجارْ]
الآن تأتي مثقلا بالثلج والنوار .

- ٢ -

كان « جلعاد » [2] يدنو من السهلِ
يدنو من العشب .
إنَّ السماءَ (وننظرُ)
تلامسُ لينةً رأسهُ المرتفع

(١) راكين : بلدة في جنوب الاردن .
(٢) سلسلة الجبال المعروفة في بلقاء الاردن .

فيهجسُ مؤتلقاً بالأسى
والخطى تهبطُ الصخرَ
نازلةً للقرى
[فقدنا التجملَ بالصبرِ
حين فقدنا الغصون]
والشافعيُّ ،
تسامق واحتدَّ
في هيئةِ الحورِ ،
وارتدَّ نحو الجبلْ .
هتفتُ به :
– ليت أن البلادَ التي بينَ عينيكَ ،
تعرفُ أسماءَكَ القرويهْ ،
أسماءَ أشجارِكَ المائلهْ ،
على أنهُ مائلَ الصخرَ في قلبهِ
[كان أيضاً وديعاً وسهلاً]
فخاطبني وهو يتركُ للريحِ قامتهُ الناحلهْ
– عاودِ الرقصَ يا صاحبي
وترفقْ

بأغانيكَ والشعرِ ،
إنك للسهلِ ،
لكنني للجبال التي أتبينُ أطيارها
مثلما تتبينُ وزنَ القصيدة ،
يا صاحبي ،
حين يدركُ عشبٌ خطاكَ اتئدْ
وامشِ هوناً
« فلن تخرقَ الأرضَ
ولن تبلغَ الجبال طولاً »

- ٣ -

ايها الشافعيُّ ،
ويا واحداً راودتهُ المقاهي طويلاً
ويا واحداً
راودتهُ النساءُ نحيلاً
ولكنهُ ما انثنىَ
حسبكَ الآنَ
أنْ تبتني نخلةً من حديد وماءْ

نخلةً في يديك
نجوةً من عصور الهلال .
حسبكَ الآن
أنْ تشتهي لغةً لنحاسِ الوطنْ
هكذا ..
نشتهي لغةً من نحاس ونهملها
نشتهي وطناً مثل جلعاد ،
يومـــاً ..
ونهملُ أشجارهُ في الغداة
نشتهي امرأة من رصاص
ونجهلُ من أين يفجؤها الطلقُ

- ٤ -

سيدي
أيها الشافعيُّ
إذا غادرتني يداكَ ،
وغادرتني نخلةً للسماءِ ،

فما زالَ جلعاد ،
أرضاً لطيرِ الجنوب
وما زلتُ أعرفُ ،
أسماءَ هذي القرى .

عمان – الاردن
٦ / ١٩٧٧

عمال النسيج

تدورُ المصانعُ
في دورةِ الياسمينِ الصباحيّ ،
والعضلات ،
في دورة الشارع ،
المترجلِ عن شجرِ العتمِ
منذ ذراعين ،
في أولِ العرباتِ التي تنقلُ
العاملين الى مصنعٍ في الضواحي القريبة من « ماركا »[1]
تدور المصانعُ ،

---

(١) ضاحية عمالية خارج عمان .

[تلك التي أوقدتْ نارها
في رمادِ المدينة]
ملتفةً بالدخانِ النحيلِ :
عاملٌ ،
عاملانِ .
خمسونَ ،
كانوا يمرُّونَ مثلَ الفراش النحاسيِ
مثلَ الحديدِ الثقيل ..

★ ★ ★

انهم يعرفونَ الخيوط الجميلةَ ،
أزرقٌ : للستائرِ ، للجنسِ ، للغرفات الأنيقةُ .
أخضرٌ : للسجاجيدِ والحرمِ الجامعي
أحمرٌ : . . . . . .
أبيضٌ : خشنٌ للكفنْ .
ولكنهم يعرفونَ :
نقابتهم ، حجراً ، حجراً

سواعدهم ، ساعداً ، ساعداً
والطريقَ الى المطعمِ المنزوي .

□

عاملٌ ،
عاملانِ ،
خمسونَ ،
كانوا يسيرون في آخر الشمس ،
كانوا يهبّونَ ،
على مطعم بجوار « السنترال » [1]
مطعمٍ يعرفُ هذي الوجوهَ الطويلة
مثل كل كراسيهِ القشّ .
هم يأكلون مع العصر حصّتهم
ثم تأخذهم دورةُ الشارع المزدهي بالنساءِ وبالضجـــة الواسعة .

عمان / ٥ / ١٩٧٧

(١) السنترال : مقهى شعبي في منتصف العاصمة .

مديح لمقهى آخر

مقهى آخر :
بوسعكَ ،
أنت الذي لا يكلُّ من الارتهانِ
بوسعك ان ترحلَ الآن :
لا وجهةً ،
لا حقائبَ ،
لا ماءَ في جرّةِ العمرِ ،
لا زوجةً في الثيابِ النظيفةِ ،
لا مطراً في المسالكِ ،
لا نجمة في الفضاء الذي يكسر الظهرَ منذ انحسارِ الرضى ،

صحيحٌ !
ولكنهُ كفنٌ واحدٌ ثم ترتاحْ !!
– أقمتُ طويلاً ؟
ومقهى « الجزيرةِ » لم ينحنِ في المساءِ ،
على ركبتيهِ ، لم يشتهِ شارعاً آخرَ
لم يضقْ بساحتهِ ،
وبأخشابهِ الشتويةِ ،
بالزبُن الدائمين .
ولم يرتجلْ مشهداً للنساءِ المثيراتِ في المدنِ الساحلية ،
لم ينتهِ ضيقاً كيديكَ ،
ولمْ ينتشرْ كالدماء .
– وماذا تقولُ ؟
– أحاولُ أنْ أهتدي لصباحٍ ،
يلائمُ ترنيمتي وهوامَ الشعابْ .
صباحٌ آخر :
وكلُّ صباحٍ ،

يفاجئنا باحتمالِ الرحيلِ
الى مدنِ الآخرين ،
ذاتُ الملامحِ في وجههِ المستطيل ، البثور الدميمةُ
– ما يسميه حبُّ الشباب – التعابيرُ ،
والمبسم المتراخي .
– أترحلُ ؟
– هذا الصباحُ موات ؟
– اذا شئتَ كان ....
ولكنها نظرةٌ للمدى المتباعدِ ،
[تلكَ الغيومُ البعيـــدةُ فوقَ الشّعاب التي لا
ترى]
واخري لشاي « الجزيرة »
[هذي السخونةُ في ملمسِ الكأسِ]
وثالثةٌ للرفاقِ المحيطين.
[التآلفُ في لغةِ اليومِ والفهمِ]

يسقط طـير الفجيعةِ في دمـــهِ المرتخي ولا يهتدي للبدايـة .

كلامٌ آخر :

« لم تكنْ تلكَ رغبتهُ الوحيدةُ ، ولم يكنْ يحفـــلُ بالمسراتِ كثيراً ، ولكنَّ جسدهُ المحترقَ بالرغباتِ والمنطفىء في الأسفلتِ البارد واصل النشيدَ المحكوم قبـــلا بالفجيعة والتشوق » .

يحاصِرُنا بالخرائطِ ،
بالاحتمالِ ، وبالحدقةِ الفارغهْ .
ويبحثُ بين الوجوه عن الدهشةِ المستمرهْ
وبين البلادِ عن الوطن المستمرِ ،
وبين الأصابعِ ، عن لسعةِ الاغتراب
وبين الجوارب عن لحم انثى .
وما كان يبحثُ عن لغةٍ ،
تنشلُ العمرَ ،
والشعرَ ،

غبَّ ابتعاد الخطى والحقائبِ ،

ما كان ....

ما كان ....

[كل بلادٍ على بعد مرمى الحجرْ]

والبلادُ التي لم تصلها اليدانْ

لم تصلها الحجارةُ بالناسِ ،

منبوذةٌ في مياه الأظافرِ .

أيُّ القصائدِ لم تبتدىء بالأنا والبياس ؟

وأيُّ الرياحِ التي لا تهبُّ على غربتي ؟

[لمْ تكن رغبـــةً في عبور الضبابات ، والمطر المتساقط في العينِ ، ولكنه الجسدُ المتواثبُ ، يحملُني للنشيدِ أو الانتحار] .

تداعٍ أخير :

لا فرقَ بين المعاطف في ثلج « جلعـادَ » وبـينَ القميص المشجرِ بالدمِ في « الأشرفية » هـــذي البثورُ الدميمةُ في وجهكَ المستطيلِ ، ومقهى « الجزيرة » في جادة « الملك

فيصل » ، والله في أهبةٍ للرحيل ، ولا زوجةٌ في ثيابك ، لا نجمة في
السماء
التي
تكسرُ
الظهرَ
منذُ
انحسارِ
الرِّضى .
صحيحٌ !

بيروت نهاية / ١٩٧٨

ڤيڤا

- ١ -

خلف منزلها
تنشرُ الشمسُ راحتها الليلكيهْ
ومنزلها واقعٌ
بين دارين ،
بين حصانٍ من الخشبِ الشتويّ ،
ومقهى ، به يشرب الشعراءُ الصغار
شايَهمْ
ويزهون بما دخنوا من سجائرْ
وآخر ما كتبوا من قصائد
(تبتديء الأرض وڤيڤا معاً

باتجاه السماء التي لونها مائلٌ
للغيوم ، والغيومُ كتابٌ من العشب)
فيثما تغادر منزلها في الصباحِ ...
يفاجئها الياسمينُ ،
ورائحة الشاي ،
وعمال مصنع « باتا »
واذ نلتقي عند موقفِ باصات « ماركا »
تسائلُني وهي تبحثُ في جيب سترتها
ـ نلتقي في المساء ؟
وتدس يحيبي طائرةً من ورقْ .
ـ إنني في النقابه !

- ٢ -

يقابلها صاحبي الناحلُ
عند الإشارةِ
فيبحثُ في الوجهِ
عن لغةٍ لقصيدتهِ القادمه
ويوسعُ ما بين عينيه مندهشاً
للتناسقِ في عضلِ الوجهِ
(كان يموتُ على النحتِ لكن كفيه ضيقتان)

. . . . . .

. . . . . .

ستصحبه الآن في موعدٍ للاتحاد النسائيّ .
(يخجلُ من لون سترتهِ المتسخ) .

ثم حين تسائِلهُ :
ـ أين سيدةُ الأشرفيـــةِ .
يخجلُ ثانيةً مثل زنبقة الماء
فيحدثُها عن لغةِ الصخرِ ،
وعن ميكائيل انجلو ،
عن عصافير حائمة في الشبابيك ،
تنقر حبَّ الندى من فروع النِساء .

ـ ٣ ـ

... وأعرف عينين،
وادعـــتـــين ،
وضاريتـــين ،
إذا حاول الشعر ،
أو حاول الرقص ،

أو حاور الصخر .
وثفيفـــا تمدُّ له كفها ،
وهو يبسم مرتبكا
ثم يقطفُ من بين أناملها زهرة الياسمين .
فتُحدِّثهُ عن رحلةٍ للجنوب ،
عن « الشافعي » الذي راود الأرض أطيارها
وابتنى شجراً
للذين يجيئونَ من آخرِ الأرض
في غفلةٍ عن زجاجِ المدنْ .

- ٤ -

يبادُلها صاحبي بالنشيد :
(لا تُشتَرى بالذهب
آه يا امرأة الأشرفية

غرفتك العاليه .

لا يُشترى بالذهب

وجهكِ المستديرُ

كبذرٍ من الماء .

إن النجومَ المضيئاتِ

إذ تترقرق واجفةً عبرَ عينيكِ

يرسمنَ جسراً من الحورِ

يمتد بين اعتزازك بالشعرِ ،

للبحرِ درباً يضمّخه البرتقالُ .)

ثم يراني

(كنتُ ابتاعُ تبغاً)

فيأخذ بالصمت شيئا

فشيئا

وينسلُّ من بيننا

(دون أن يدَعَ الوقتَ يأخذُ أهبَتَهُ)

تاركاً بين يدينا

لغة الصخرِ ،

تحاورُنا بأصابعها الخمسةِ القاسيه

عمّان/ ٦ / ١٩٧٧

صحراء « عودة ابو تايه » *

خذوا هذه الأرضَ منيَ ،
أيها الراحون إلى الغرب،
(أقصى النوافذِ في الغربِ ،
أقصى التلاشي ، الجنون)
ولا تتركوني وحيداً
على حافةِ الأرضِ ، أرثي بلادي ، « الخراب » .
خذوا هذه الأرضَ
(ما تبقى من الأرضَ)
هذي الأخاديدَ ،

* عودة أبو تايه : زعيم عشيرة الحويطات في جنوب الاردن وأول من انتفض ضد الأتراك في بدايات هذا القرن.

والجُثثَ المرَمريّة
لا تتركوا ولداً خلّفته العشائر
في قبضةِ الشعر
سطوَته في انتقاءِ الكلامِ الرضيّ
ارتحالاته في غضونِ الشقاء ،

الشقاءِ ،
الذي ،
لا مثيلَ ،
لأخشابهِ .

ولا تتركوني ...
(أنا ولدٌ خائبٌ في العشيرة والشّعرِ
جئتُ من مضربٍ في شمالِ الرّياح
وفي لغتي نبرةٌ كالصهيلِ ،
كان سوطي من جلد ثورٍ
أمرّ به فوقَ ظهر اللّغات الأنيقة

والسافلين)

ولا تتركوني ،

أسمّي المذابحَ من أرضِ « جلعاد »

حتى قميصي الأخير ،

أعدُّ انتهاكات لحمي ،

وأمّي التي فارقتها النبوءات من زمنٍ

« الشيخ عودة أبو تايه » .

أعدُّ الندوبَ الطويلةَ في وجهِ ،

وضحةَ

وضحةَ

وضحة ..

(تلكَ التي كانتِ الأرضُ ،

تنفثُ شهوتها ، بعثراناً وشيحاً

بقمحَتها في فَساحِ الصبّاح ،

وتلكَ التي لم تنمْ بين فخذين ،

ما شاهدتْ غير أعضائها ،

الذئابُ تحنُّ الى لحمها الرّعوي ،
تخبطُ الخيلُ أقدامها في الهواء ،
المعبأ بالمسكِ والعرق الأنثوي لدى لحمها .
والرجالُ ،
الرجالُ الذين استطاعوا إليها سبيلاً
قضوا واحداً ، واحداً
في الشقاء .

* * *

ولا تتركوني هنا .
في سماءِ الصحاري
تحجُّ إليّ العقارب من كل صوبٍ ،
وتسعى أفاعي الشّعاب إلى نُقرة الماء ،
يا للصفير النحاسّي في أفقٍ من هباء :
لقد ضاقت الارضُ في قامةِ الإبل
ثم انحنت دورة الوقت تحت السُّروج

فلا خَيلَ تصهلُ في مقبلِ الليل ،
ولا راحلٌ يهتدي بالنجوم .
ويا ليديَّ ،
ويا للعراء ،
ويا لانهيار الخراب على جثة الشيخ عودة
ويا للسكون الملوث بالانقراض
ويا ....

★ ★ ★

قِفُوا
أيها الرامحون الى جهة يبتليها الحديد
فها قهوتي ما تزال على جمرة الانتظار
وها جَمرُنا المنطفي
واضحٌ في الرماد ،
الرمـــا ..... دْ .

بيروت ٢ / ١٩٧٩

الشجر

النشيد :

أيتها المدنُ المبهمهْ
يا موطنَ الحجارِ والعرقْ
أيهـا الزمنْ
يا مولعاً بالاندحار والمفاجأهْ
يا حديـــد ،
يا طوطمي الجديدْ
اعطِنا نبيذنا القوي
ويومَنا السعيدْ .

القصيدة :

- ١ -

لنقل انه الارتحالُ عن الوطن
البدوي الصغيرِ .
المحدرتُ مع الابلِ
مع وبرِها المتعطشِ للعشبِ والشعر
صوب الحجار الكبيرة ،
والجرفِ ،
والمدنِ المبهمةْ
(وطنٌ بدويٌ صغيرٌ على كتفي واقف كالشجرٌ)
يا شجر ...
انت يا واقفاً فوق كتفي المهيضِ
تودع « عجياننـــا » و « الحلال » الذي يشهـــقُ
الآن مختنقاً بالهجير .

يا شجر ..

انت يا ضاربا في الغيوم البعيدة ،
في روح أمي .
مررنا على « وضحة » المستحمة بالصهدِ والشيح ،
لمّا تزلْ نكهةُ الثديِ والعنق عالقةً
في لساني .
ولما يزلْ صوتها البدويُ الخجولُ
يباعدني في مقاهي الرصيفِ ..
يا شجر ،
أيها الميتُ والحيُ والوطنُ المبتلى بالرجال الصغار
شربناكَ في أمسنا علقماً
وفي يومنا علقماً
وفي غدنا حجراً عاقراً كالسماء .

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

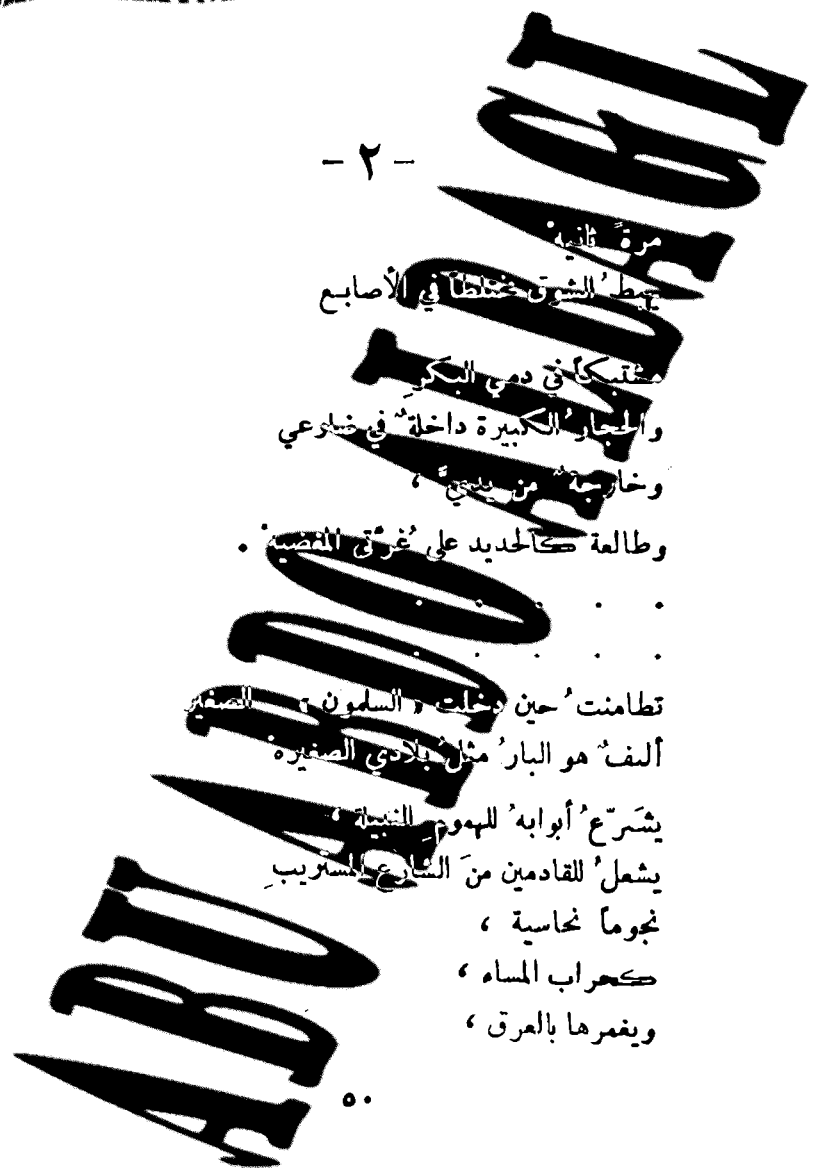

- ٢ -

مرةً ثانيهْ
يهبطُ الشوقُ مختلطاً في الأصابع
مشتبكاً في دمي البكرِ
والحجارُ الكبيرة داخلةٌ في ضلوعي
وخارجةٌ من يديَّ ،
وطالعة كالحديد على غرقِ المفضبةْ .

. . . .

. . . .

تطامنتُ حين دخلتُ « السلمون » الصغير
ألفٌ هو البارُ مثلُ بلادي الصغيرهْ
يشرّعُ أبوابهُ للهمومِ النبيلة ،
يشعلُ للقادمين منَ الشارعِ المستريبِ
نجوماً نحاسية ،
كحراب المساء ،
ويغمرها بالعرق ،

كجمةٍ ،
نجمةٍ ،
جسداً مزهراً بالحريقْ
(إننا في الحريقِ
نمازجُ بين الوحوه الأليفة
والمـــاءِ ،
بين الرمال المعافاة ،
والسلْ ...
ونودعُ سرَّ التشتت في حضرة
العرق الابيض ، المتصلب في زهرة الرأس)

. . . .
. . . . .
. . . . . .
. . . . . .

عندها ، أتسلل من عتمة البار ،
مندهشا بالحضارات والطرق الموصدة
أنني المتسللُ
من عتمة البارِ

في عتمة الليلِ ،
في عتمة الشارع المنتحي جانبا
نحو عتمة صدري الثقيلة
وأهجس متكئا على قامتي الناحلة :
رجالاً لهم قامة الرمح
وعمر السنديان
اطالوا الوقوفَ على جثة البدوي الصغير
ومروا خفافا الى دار بائعة اليانصيب
اشتروا ورقاً ،
واحتمال الخسارة

- ٣ -

شارعُ السلط ،
كان طويلاً ، ومزدحماً بالخطى
والنساء الجميلات
و الشهرزادُ تقدم بيرتها الباردة

في عتمة الليلِ ،
في عتمة الشارع المنتحي جانبا
نحو عتمة صدري الثقيلة
وأهجس متكئا على قامتي الناحلة :
رجالاً لهم قامة الرمح
وعمر السنديان
اطالوا الوقوفَ على جثة البدوي الصغير
ومروا خفافا الى دار بائعة اليانصيب
اشتروا ورقاً ،
واحتمال الخسارة

- ٣ -

شارعُ السلط ،
كان طويلاً ، ومزدحماً بالخطى
والنساء الجميلات
و الشهرزادُ تقدم بيرتها الباردة

- ٤ -

من الصبح
حتى الهزيع الأخير
تقدم بيرتها الباردة .

عمان – مطلع ١٩٧٧

متابعة

الظـــل :

لم يكن واضحاً
حينَ فاجأني الصُّبحُ ...
متئداً كنتُ أهبطُ من سلّمِ « السنترال »
انتهيتُ إلى شارعٍ
غائرٍ في الندى والحجارة .
وانتهى – واضحاً – إلى جانبي ..
والبلادُ / الشوارعُ
مبتلةٌ بالجرائدِ ،
مبتلة بنشار الحديد .
(تُرى كان حلما
ولكنّ رأسيْ
تدحرجَ في مرجلٍ من نحاس)

واضحاً ظلّ يبعـدُ
في زحمةِ الشّوق
يبعدُ ، يبعدُ حتى التلاشي
برهـةً ...
تحسستُ في موضعِ الرأس ،
ألفيت صبارةً فوق كتفي .
تلفتُ ...
ما زال يمضي إلى جانبي .

المـــرأة :

الصباحُ اشرأبّ على غرةّ المرأة القادمهْ
صدفةً يلتقي الماءُ
بالضحة الهامدهْ .
صدفةً تلتقي بالشجرْ
أعين الميتين
صدفة نلتقي
أو لمْ نلتقِ ؟

عمّان ٥ / ١٩٧٧

احتمال

ربما ،
يدفعُ الرملُ ما نستسرُ
الى صفحةِ الماءِ
ربما طلقة في الجبينِ
تصيبُ الرضى في الحضورِ
وتسلمنا للسكينةْ
ربما
ننحني لاصطيادِ صغارِ القطا
ينهضُ الشيحُ
لاصطيادِ رؤوسِ الاصابع
ربما تصبحُ الارضُ أهلا لروثِ البهائمِ والبدوِ ،

تمنحُ أسرارها للحلالِ وعجبانا البائسين
ربما نهتدي لبلادٍ جديده
ربما

بيروت /مطلع ١٩٧٨

ثلاث قصائد الى سعدى يوسف

الشعر :

إنني ابدأ الأغنية
بالملامةِ
بالقليلِ من الخمرِ
أو بالتهكمِ من لهجتي البدويةِ
لم تبق للقادمينَ من الشعراء ،
ولي ،
غير ناقلةٍ من كلامٍ
وشبرين من آخرِ الماء :
أغلقت في وجهنا القنطره

« فها نحن نشقى »
باوجاعنا اللغوية
نشقى لأن القصائدَ
لا تطفىءُ الأسئلهْ
ونشقى لأن القصائدَ
لا تبلغُ المرحلهْ
وهاذي قصائدنا ورقٌ ناشفٌ في الحلوقِ

الرصاص :
دائماً
مثلما تكتبُ الشعرَ
لامرأةٍ في جنوبِ العراق
لها غرةٌ كالخيولِ الصغيرة
[انت قاسمتها حزنها

والسجائر

في لحظة الإشتباك

مع السفرِ المغربي]

تجيءُ الرصاصاتُ

أقربَ للقلبِ

من جهةِ الأنظمة :

تكونُ الرصاصاتُ

في شارعِ منتحٍ لليمين،

تظللهُ الخطواتُ التي لونها

واقعُ في الغموضِ

والرصاصاتُ في سترةٍ

انت تعرفُ صاحبها جيدا

الذهب :

بأيدٍ توهجَ فيها الذهب

يحملونُ الحقائبَ.

جلدُ الحقائبِ ،

ينبتُ فوقَ ظهورِ الجياد ،
وهم يقتلونَ الجيادَ
لصنعِ الحقائبِ والقبعاتِ .

بيروت ١٩٧٨/٣

الفتى

« الى زكريا محمد »

القصيدة :

ولي ،
ان أتابعَ هذي الطيورَ التي
تتشربُ لحمَ الفتى ،
قهوة في الصباحِ المديدِ
وتستلُ من مضغة القلبِ
نصلَ القصائدِ
والطيرُ ،
والحجرِ الحيّ ،
والنسوةِ العاريات .
ولي ،

أن أتابعه

[كاملٌ في العذابِ
دائرٌ في كؤوسِ الشرابِ ،
مائلٌ باتجاهِ ذراعي]

ولي:

أن أراهُ كما أبتغي :

[صاخبٌ صاخبٌ في اندفاعاتهِ جهةَ
الشعرِ والانعتاق ، ولكن ملامحهُ الخارجية
لا تشي بذلك . ليس جميلاً كما تظنُ صديقتهُ
الأرمنيةُ ، التي تكوي ثيابها في الصبيحةِ تحت
النافذة . وقد اعترفَ باحدى قصائدهِ المنشورةِ
في صحيفةِ (الشعب) الأردنيةِ قبيلَ إغلاقها ،أنهُ
نحيلٌ أكثر مما ينبغي لفق في السابعةِ والعشرينَ
وربما يميلُ للدمامةِ .لايعرفهُ الكثيرون ،ولا يفخرُ
به احدٌ خارجَ أحجار العائلة الكبيرةِ القطعِ]

متابعات :

— ١ —

يحاذي الصباحَ المبكرَ ،
في شارع السلطْ ،
يذرعُ أعضاءَ عمان ،
باللمسةِ الباطنيهْ
بغتةً ،
ياخذُ اللونُ ،
شكلَ القميصِ النظيف
ووجه الفتاةِ التي
ناولتهُ أصابعها
ثم مفتاحَ شقتها
والرضى في الملامة .
ويهبطُ مثل بلادي التي تهبطُ الآن
صوبَ براري الدمِ العربي :
إنتهى رائقُ العيشِ
يا أيها البدو ،

ردوا فتاكمْ
وقولوا الذي خبأتهُ الضلوع
وقولوا الذي حاورتهُ الدموع
وقولوا الذي لا يقالُ

أتابعهَ ،
ثم أهجسُ :
هذا الفتى حائلُ اللون ،
مشتبك في الخطى
أتابعهُ ...
ثم اهجس :
هذا الفتى ناقعُ اللون
محتدمٌ في الهوى
أتابعه ...
ثمة :
[الوجهُ ،
والظلُ
والمرأةُ الارمنيةُ]
يمدُ يداً ساورتها الدماء

إلى جيبِ سترته ،
ويطلقُ عصفورةً من ورقْ
صوبَ نافذةٍ في الجدارِ القريبِ من الكتف .

موت الاغنية :

قالَ لي مرةً :
[نادراً ما يقولُ]
الأغاني يداهمها التافهونَ
فتنأى عن القلبِ
طيراً من الرغوةِ المعدنيةْ .
أقولُ لهذا الفتى :
[حائرٌ ما اقولُ]
ترى ، ما الذي نفـّر الشعرَ منا
وأسلم كف القصيدةِ للنار ؟
أنا حائرٌ ما أقولُ ...
أتابعُ شكلَ اختلاطكَ بالناس والاتربهْ
أراكَ تحطُ الخطى ،
وتشيل الخطى

وتذوبُ الخطى في شوارع عمان
والشعرُ ينأى ،
وتنأى الاغاني
وينأى
الوطن

بيروت ٤ – ١٩٧٨

كونكريت

تأخذنا الأقدامُ ،
إلى حالات مقتضبة
في العتم ، لا نجرؤ على الابتعاد كثيرا
وغالبا ما يحدث هذا في العمارات
الكبيرة ، والمنافي .
نصعد أحجار السلم ،
المتراصة ،
المربعة ،
الغافية .
نشعل عود ثقاب ،
[إذا كنا نضمر محبة التبغ]
نمد أيدينا ،

تصطدم بالملمس البارد ،
ألواحٌ من الاسمنت شديدة التماسك .
تتساقط فتائل «الشيد» والروماتيزم .
نرتقي أحجاراً أخرى
نمد أيدينا ايضاً ،
لا أخشاب تشيع الأنسَ
ولا ملابس داخلية .
نشعلُ لفائفنا
لنطرد بالدخان الحيّ
سطوة الوحدة الاسمنتية ،
ولكي نؤكد شجاعتنا الغريزية ،
المهذبة ، نطلق لحناً ،
شبيه نداء الاستغاثه ،
الابواب ، من الحديد الصلبِ
اقفالُ كعقارب السهوب الاستوائية
تنبض على الابواب .
إلى أين تأخذنا الاقدام ،

المكونة من عشرة أصابع
أنها اقدامنا ذاتُ الاجراس العشرة
المبحوحة ، صاعدةً مدارج الكونكريت ،
بمزيجٍ من الالياف ،
والخوف ،
وقليلٌ من الدمِ
إنها أقدامنا ،
صهواتٌ واطئةٌ ،
تسبحُ
في براري الاسمنت

بيروت ٦ – ١٩٧٩

مراثي متاخره

الى غسان كنفاني

— ١ —

دعوني ،
دعوني
فلا شي يباعدُ بين دخانِ القلبِ ،
واحزانِ الفضةِ الذابلة .
لا شيء يطفيء جمرةَ القلبِ
سوى احماضِ التفاؤلِ
والاسنانِ الناصعةِ البياض .
دعوا حزني وشأنهُ
فقد إستبدت بنا ربطاتُ العنق

والزوجاتُ والاجتماعاتُ الدورية .
دعوني
فلا شي يزجرُ حزني هذه الليلة ،
وسأكتبُ ،
نعم ، سأكتبُ ،
مرثيةَ الرجلِ الوحيد ،
مرثيةَ الموتِ الجميل الذي لم يعدْ وارداً .
سأكتبُ :
انني حزينٌ هذه الليلةَ ،
ومتعبٌ من شدّةِ الموت .
لذا سأطفيء أصابعي ،
واحدة تلو الاخرى
في لحيَ الصالح للجنازة .
وأنعمُ بظلمة صغيرة ،
تمكنني من الرثاء ،
من اقتناء اعضائي ،
وتوزيعها على الأماكن المحددة للشعر والحرية .

- ٢ -

حين مضى ،
كان وحيداً ، وأعزلاً من الظل ،
اعزلا من الآنسولين
وحينَ عاد ،
عادَ وحيداً أيضاً
ولكنه حاذى صفصافة منهدمة
وبقايا غزلان ...
وبضعة اعداد من مجلة « الهدف »
انهُ الرفيقُ الأكثرُ رقة واحتفالية .
انه الرجل الوحيد .
المتمددُ الأحزان والموت المباغت .
العينان : في مكانهما تماماً
الانف : في موضعه القديم
الابتسامةُ ، المنحدرة إلى اليمين قليلاً
لما تزل تحت الشاربين ،
فراشة تنفض ألوانها الأخيرة .

— ٣ —

اذن ما الفرق ،
بين الرجل الحزين
والصفصافةِ المنهدمه
ما الفرق بين الخطوات المتئدة
على كتف صاعد للحلم
وبين الخطوات السراع
على منحنى الروح ،
ما الفرق اذن .

— ٤ —

لم يكن عَجِلاً
حين مضى في غبش الضبابات المبكرة
لصبيحة أل T.N.T.
لم يكن متئداً ،
حين عادَ ، ملفوفاً بالثياب النظيفة ،
عالياً على أكتاف الآبنوس .
كان هادئاً جداً

ورائحةُ الانفجار في فتحتي الانف .

- ٥ -

بيديه الشاحبتين
كان يقشر لحاء الرصاص ،
ويغير شكل الفاكهة .
بيديه الشاحبتين
كان يصحح مسودات الثورة ،
ويكتبُ لأطفال لم يروا عكا ،
الا دماً ناشفاً على الواح الصفيح .

● ●

بيديه الشاحبتين
نظف فوهة الحديد القصيرة
واندفع إلى البحر . .

بيروت ٣ - ١٩٧٩

نشيد وثلاثة اسئلة

الكلامُ فضة
والشعرُ ذهب
والنساءُ رنينُ المعدنينِ معا ،
والقصائدُ
لغتنا من الان فصاعداً .
اذن
لنبدأها دونما استعارات او تهويل
ولننظرْ إلى الاشياء الحية بيننا ،
بكثير من التبجيل .
وليكن النشيدُ
احتفالاً بالرضى

والمسرات المقتصرةِ على الرعاة
البسطاء
اولئكَ الذين
تبعثرت ألحانهم ،ورائحة آباطهم
بين الحطبِ ، والهشيم السائب
ومضوا الى غير رجعة .

* * *

هل نهتفُ في بوق الفضة :
كيف يحيا الرعاة دونما أغان
وحملان ،
وغواية ،
بل سنهتفُ :
كيف يكون ثمة رعاةٌ بلا مهارٍ وناياتٍ
وجروح لا تندمل

* * *

الكلامُ فضة

والشعر ذهب
والنساء اختلاط المعدنين معاً ،
والقصائد لغتنا من الآن فصاعداً .
اذن
لنكرسها عن الذين مضوا إلى غير رجعة .

وعن :

× رعاة الغبش المنمنم
والتهاليل المرتدية ثياب العرس
× النسوة اللائي غوين اشرس الوعول
وأثرن شبق النحاس .
× الأعشاب ذات الفصل الواحد والآبار
المردومة .
× العقبان والكواسر الليلية وأصناف
فصيلة النمر .
× الصنوج ، والسنابك ، وملابس
الحرب

المطرزة بدماء القبائل .

× صيحات الفتيان الذين لم يفرغوا من
تطبيع مهارهم

× رحيل أقوام بأكملها من المضارب
الى لجام الحديد
وابعد من ذلك ،
حين تفاجأنا النايات المهشمة ،
والعظام النخرة .

والقبائل البائدة بثلاثة اسئلة محددة :

١ – كم مضى من الدهر ؟
٢ – هل اندملت الجروح القديمة ؟
٣ – ما هي الأسماء التي لا تزال صالحة للتداول؟
بماذا نجيب ؟

هل نكتفي بالقول :
الكلام فضة ،
والشعر ذهب

والنساء رنين المعدنين معاً
والقصائد لغتنا من الآن فصاعداً ،
فهلموا ايها الرعاة إلى قصاعنا
العامرة ،
لنشرع بالتهاليل .

بيروت ٦ ١٩٧٩

القصائد

١ ــ ابواب للسماء ولكنها ... ضيقة .	٥
٢ ــ الجبل .	١١
٣ ــ الشافعي .	١٧
٤ ــ عمال النسيج .	٢٣
٥ ــ مديح لمقهى آخر .	٢٧
٦ ــ فيفا .	٣٣
٧ ــ صحراء « عودة ابو تايه »	٤١
٨ ــ الشجر .	٤٧
٩ ــ متابعة .	٥٥
١٠ ــ احتمال .	٥٧
١١ ــ ثلاث قصائد الى سعدي يوسف .	٥٩

١٢ ـ الفتى . ٦٣
١٣ ـ كونكريت ٦٩
١٤ ـ مراثي متأخرة . ٧٣
١٥ ـ نشيد وثلاثة اسئلة . ٧٩

عندما قرأ سعدي يوسف شعر امجد ناصر قال عنه : هذا البدوي القادم من مضارب عشيرة « الحويطات » كم هو شفاف ! اذا اخذنا بمقولة ان الشعر لا يحلل ولا يفسر ، بل يستسلم له كما يستسلم الجسد لشلال في يوم صائف ، فان لشعر أمجد ناصر دفقة الشلال على الجسد ، لكن له رعشة الصقيع الحادة .

يتراءى لنا في هذا الشعر البدائي حالة البدوي المنحدر مع الابل صوب الحجارة الكبيرة . البدوي المتعطش للعشب والماء . وفي انحداره صوب مدن الاسمنت والضوضاء والعشق والمسرات المنتظرة ، يحمل في دمه هجير الصحراء ورمالها ، ورائحة البدو وقهوتهم ، واصداء المذابح والثارات القديمة .

انه يحمل فوق كتفيه اشجار الزمن القديم ورموزه الاسطورية والوثنية ، لا ليمجدها انما ليتطهر منها . ان لغته الشبيهة بصهيل الخيل مرة ، وحفيف اجنحة القطا في الصباحات الندية مرة اخرى ، تعلن بقوة تمردها وانفصامها عن الروح القديمة التي تسكن طوطم القبيلة .

في هذا العبور التطهيري ، الارسطي ، للارض المغلفة بالدم والظلام يتقدم الشعر فوق خط الصراط ، طائرا منذرا بالموت والرعد معا .

في شعر امجد ناصر ، الرمادي والاحمر ، نسمع نبرة هذا النذير الوحشي المحمول من فضاءات الصحارى والمصطدم بجدران المدن العالية .

انه الحلم الذي ينفجر بالحزن والدم والاحباط ، ومن شظاياه يتوهج الشعر .

الثمن ٤٥٠ ق.ل.

او ما يعادلها